



جامعة تلمسان

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية



السنة الجامعية : 2021 – 2022

قسم علم الآثار

التخصص: الآثار الإسلامية

المستوى: ماستر2 السداسي : الأول

عنوان المقياس: تاريخ الأبحاث الأثرية في الآثار الإسلامية بالجزائر

أستاذ المادة: أ.د بلحاج معروف

Email : archeomarouf@gmai.com

عنوان الدرس: الأعمال الأثرية في منطقة تميمون وسدراتة بورقلة

## الأعمال الأثرية في منطقة تميمون وسدراتة بورقلة:

### الأعمال الأثرية في منطقة تميمون:

تقع مدينة تميمون في الجنوب الجزائري في منطقة قورارة، وهي تابعة لمثلث من ثلاث مدن وهي أدرار وعين صالح، أسس قصر تميمون في واحة تحمل نفس الاسم، وتتكون من مجموعة من المباني القديمة داخل القصور، والمشيدة من التراب و الطين الأحمر فوق مرتفع.

لقد قام جون كيلود إيشاليي Jean claude Echallier خلال السنوات من الستينيات من القرن العشرين بعدة دورات من المسح الأثري وفتح أسبار أثرية في الصحراء الجزائرية، وقد أعطى ذلك دراسة حول المسكن الحضري الصحراوي انتهت بمنشور علمي، قدمت الدراسة مختلف مخططات القصور الصحراوية والمساكن التقليدية في إقليمي توات وقورارة، وقد قدم إيشاليي تمييطا لمختلف المساكن مع التاريخ.

### الأعمال الأثرية في سدراتة:

تبعد أطلال مدينة سدراته عن مدينة ورقلة في اتجاه جنوب غرب بحوالي 14كلم، وتبعد بدورها عن الجزائر العاصمة بحوالي 800 كلم، وهي مدينة شيدت مبانيها بالقرب من مصب وادي مائة الممتد من جنوب غرب جبل العباد إلى قارة كريمة جنوبا وإلى حوالي 20 كلم شمال مدينة ورقلة، ويعتبر وادي مائة من الموارد المائية الرئيسية التي كانت تزود المنطقة آنذاك، وهو ما ساعد على استقرار مجموعات بشرية بها منذ أزمنة غابرة.

تكون الموقع من عدة تجمعات أثرية تحتل كل واحدة منها مرتفعا. فالمسجد الذي يوحى تصميمه بالأبنية العباسية يقع في نقطة عالية. يتكون بيت الصلاة من ثلاث بلاطات متعامدة مع جدار القبلة، وهي مغطاة بقبو وتتصل بصحن مركزي. كان الدخول إلى المسجد يتم عبر باب معقود مفتوح في الحائط الشمالي، حيث يوجد درج يؤدي إلى السطح.

### تاريخ تأسيس سدراتة:

بناء على بعض الأدوات الحجرية المكتشفة بمنطقة سدراتة يمكن القول أن الموقع الأثري يعود إلى فترة العصر الحجري الحديث Néolithique، وهكذا يتضح أن الموقع يعود إلى فترة ما

قبل التاريخ، لكن الأمر يختلف بالنسبة للفترة الرومانية، فأمام انعدام الوثائق سواء المائية منها أو المكتوبة يمكن الجزم بعدم وصول الجيوش الرومانية إلى المنطقة التي رددت ما كانت في تلك الفترة التاريخية مستقرا للقبائل البربرية الهاربة من بطش الاحتلال الروماني.

يرجح بعض الباحثين ومن بينهم Lethilleux تاريخ تأسيس مدينة سدراتة إلى مطلع القرن الأول الهجري 7/هـم، وذلك اعتمادا على بعض المؤلفات التي تعود إلى سليمان بن إبراهيم بانوح الذي اعتبره من مواليد سدراتة 905م، وكذا العالم المشهور أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوردجاني المتوفي سنة 1174م، وكذا باستشري بكر بن هود بن صالح بن قاسم بن عيسى. وحسب Lethilleux فقد أشار هؤلاء العلماء في مصنفاتهم إلى أن جماعة من المسلمين الذين كانوا يقيمون في طرابلس سنة 23هـ توغلوا نحو جبل نفوسة، وسعوا وراء فرق باتريس البيزنطي "جريجور" إلى غاية ضواحي سببلة، ومن بين تلك الجماعة نزح اثنان منهم إلى وادي مية، كما أن القوافل التجارية التي كانت تربط الصحراء بالشمال كانت تمر بوادي مية، وحينما وصلت إحدى القوافل التي كان على رأسها أبو حفص عمرو بن فتح الفار من جبل نفوسة إلى المنطقة سنة 41هـ، قرر أصحابها بناء مسجودين من حوله المساكن وهكذا تأسست مدينة سدراتة.

### أعمال المهندس طاري H. Tarry

أهم ما لفت انتباه المهندس طاري أثناء قيامه بالتنقيب الأثري سنة 1881 تلك المجموعة من الغرف المكتشفة في الجهة الشمالية من المدينة التي كان يعتقد أنها تؤلف في مجموعها قصرا، حيث يقول: "لقد اكتشفت قصرا بآتم معنى الكلمة، لأن جدرانه كانت كلها مكسوة بزخارف رائعة الجمال...وفي أسفل تلك الزخارف ترك المعماري توقيعه، ولقد حاولت إعادة نقله بطريقة الختم ولكنه اندثر...كما عثرت على قاعة يبلغ طولها حوالي 4.50م وعرضها 2.50م تزينها عناصر زخرفية..."، ويذكر طاري عن العدد الكبير من القطع الجصية التي كانت تحمل تزيينات زخرفية، حيث قرر بما يقارب حمولة جملين التي تم إرسالها إلى مدينة الأغواط ومنها تنقل إلى كل من متحف الجزائر العاصمة ومتحف قسنطينة ومتحف تروكادرو بباريس". لكن هذه الثروة الهائلة التي تحدث عنها طاري ضاعت ولم يبق منها سوى ما سجله في مجلة

Revue d'Ethnographie لسنة 1883-1884م

## أعمال بول بلانشي Paul Blanchet

تركزت أعمال بلانشي سنة 1898م حول المباني التي أشار إليها طاري كالمحكمة و القصر ثم الجامع، وكان من نتائج هذه الأعمال أن تم اكتشاف حوالي أربع وثلاثين حجرة وحوالي 60م<sup>2</sup> من القطع الجصية التي تحمل زخارف متنوعة منها الهندسية والنباتية والكتابية، وبالإضافة إلى ذلك فقد التقط مجموعة من الصور تعتبر من الوثائق النادرة حول مدينة سدراثة لاسيداً ما وأنها شملت بعض النماذج من الزخارف الجصية التي كانت تزين القصر كالكتابية مثلا وزخرفة مدخله الرئيسي. لكن الموت لم يترك الوقت لبلانشي لينشر أعماله.

### حفرة فوشي 1942 :

لم تدم إلا يومين فقط، إلا أنه وضع مخططا لجزء من القصر وبعض الصور

### أعمال مارغريت فان برشم Marguerit Van Berchem

كانت أعمالها أكثر علمية ودقة من الباحثين السابقين لها، وقد نظمت الحفرة على مرحلتين:

- **المرحلة الأولى** شهري جانفي وفيفري 1951م تم فيها العثور على بيت بالجهة الغربية، وعلى بعد 700م من هذا المكان وفي اتجاه الناحية الشرقية تم اكتشاف بعض القطع الجصية والكتابات الكوفية.

- **المرحلة الثانية** كانت خلال شهر نوفمبر 1951 إلى غاية جانفي 1952م، حيث أزيح التراب أثناءها على بيت شاسع بالجهة الشرقية، وعثر على مجموعة من القطع الجصية تشبه تلك التي عثر عليها في أماكن أخرى من المدينة

### حفرة حملاوي:

أراد الأستاذ حملاوي سنة 1997 استئناف أعمال الحفر واستمرت الأعمال إلى غاية بدايات القرن 21، ولكن بشكل متقطع، فكشف على بيت يتكون من غرفتين صغيرتين وغرفة مستطيلة الشكل بها مدخل ضيق يعلوه قوس نصف دائري متجاوز ارتفاعه 1.30م وعرضه 57سم يتصل بقاعة مغطاة بقبو منخفض.

## نتائج الحفريات:

### المسجد

شهدت مدينة سدراته عدة تنقيبات أثرية, لكن ما يؤخذ على البعض منها أنها لم تبلغ المستوى المطلوب من حيث التنظيم والمنهجية العلمية المتبعة في تنقيبات الحفر.

إن جل الباحثين الذين تعاقبوا على مدينة سدراته لم يتعرضوا بطريقة علمية إلى مسجد المدينة, بل اكتفوا بالإشارة إليه بطريقة عرضية, ووصفوه وصفاً يكاد يكون سطحياً. وفي مقدمة هؤلاء الباحثين نذكر فكتور لارجو الذي زار المدينة سنة 1877م, وتعرف على أحد مساجدها وهو في حالة جيدة من الحفظ, ويقول لارجو بشأن هذا المبنى: يوجد بجنوب المدينة المنذرثة بقايا لمسجد مستطيل الشكل تبلغ مقاساته (23×18 م), وينقسم إلى قسمين من جهة العرض, تقدر مقاسات الجزء الأول حوالي 10م, وأما القسم الثاني فيبلغ 13م, وقد كان هذا الأخير مبلطاً ومرتفعاً نوعاً ما عن الأول, ونلاحظ به بقايا أحواض محفورة في الأرض يتم تزويدها بالمياه بواسطة قناة تخرج من إحدى زوايا الجدار وهي في حالة جيدة, كما عثر لارجو بهذا المبنى على جزء طنّف من الجص تحليه زخارف نباتية تشبه الأرابيسك. أما هارولد طاري, الذي يعتبر أول باحث قام بحفرية حول أنقاض بعض المعالم من المدينة سنة 1881م, فقد استطاع, حسب قوله, أن يزيل التراب عن كامل المحيط الداخلي للمسجد, كما يشير طاري إلى أن المسجد كان يحتوي على مدرسة قرآنية تحليها زخارف كتابية هي الأخرى, ويصف بول بلانشي (1898م) المسجد بأنه قاعة مربعة الشكل مغطاة بحوالي عشرين قبوا تقوم على ست عشرة دعامة, زينت جدرانه بأبواب وهمية ونوافذ تحلي أطرها زخارف هندسية بسيطة.

وتعتبر الحفرية التي قام بها المهندس فوشير, ما بين 1943م و 1944م, من أهم التنقيبات التي جرت حول المسجد, فلقد استطاع هذا الباحث إزاحة الرمال عن محيطه, باستثناء الزاوية الجنوبية للمبنى حيث تمكن من الوصول إلى أرضية قاعة صغيرة يبلغ ارتفاعها حوالي 4,43م ومغطاة بقبو, ولقد وضع فوشير مخططاً ورسوماً توضيحية لهذا المعلم, لكن هذه الوثائق لم تنشر بل بقيت حبيسة الأدرج.

أما بالنسبة للباحثة مارغريت فارشم, فقد وقفت هي الأخرى على أطلال هذا المنشأ, وحاولت أخذ المقاسات لبعض أجزائه.

وينطبق وصفها على مبنى تم اكتشافه سنة 1977م من قبل فرقة معهد الآثار (جامعة الجزائر) والذي يعتقد أنه هو المسجد الذي تحدث عنه الباحثون المذكورين آنفا, فلقد تمكنت الفرقة آنذاك من إزالة الرمال من المحيط الداخلي لمنشأ يقع في الجهة الجنوبية الغربية وبعض العناصر المعمارية كالسلم والعقود المطلة على الصحن والدعامات والغرفة المرفقة له. يحيط بهذا المعلم مجموعة من المباني لا يظهر منها سوى الأجزاء العلوية للجدران, أو حلت محلها أكوام من الحجارة والجدير بالملاحظة أن هذا المعلم رغم ما يحتويه من عناصر تتم عن انتمائها إلى العمارة الدينية مثل مخططه العام ووجود صحن فإن بعض الباحثين, وفي مقدمتهم مارغريت ف برشم, اعتبروه مسكناً!

### المبنى الضريح

تم الكشف عن بعض أجزاء بناية أخرى خلال عملية الحفر التي أجريت سنة 1997م, تتكون من غرفتين ضيقتين وغرفة مستطيلة الشكل, يتم الدخول إلى إحدى الغرفتين مروراً برواق, لم يكتشف كله بعد, عبر مدخل ضيق يعلوه قوس نصف دائري متجاوز يقدر ارتفاعه بـ 1,30م وعرضه 57سم, تتصل هذه الأخيرة بقاعة ثانية أقل حجماً منها مغطاة مثل سابقتها بقبو منخفض جزؤه العلوي مندثر.

والجدير بالملاحظة أن وظيفة هذا المبنى رغم أنها لم تحدد بعد نظراً لعدم اكتمال الحفر بها فإننا نرى أنها تشبه - في تكوينها العام وما تحويه من بيوت ضيقة ومتشابكة - ضريح

### المساكن

تتحصر المباني المدنية بمدينة سدراته في البيوت العامة والخاصة التي أشار إليها الرحالة أو المكتشفة أثناء عمليات التنقيب, وعلى الرغم من قلتها فإنها تعتبر مهمة, حيث تقدم لنا صورة تكاد تكون كافية عن العمارة المدنية بالمدينة, كما تقدم لنا نماذج حية من العناصر المعمارية التي استعملها البناء السدراتي في مبانيه.

ويعد فكتور لارجو أول من أشار إلى هذه البيوت دون تحديد مواقعها، ويذكر في هذا الصدد (أن البيوت الكبيرة لمدينة سدراته ذات شكل مربع وغير منتظمة التخطيط، وهي تتكون من قسمين متقابلين يفصلهما صحن، أحدهما عبارة عن رواق يتكون من بوائك ذات أقواس نصف دائرية وترتكز على دعائم مربعة الشكل. كما لاحظ لارجو بيتاً آخر مربعاً يبلغ طول أضلعه في جميع الاتجاهات 9م، وبيتاً أخرى يساوي طولها نفس المقاس السابق، وتتكون من غرفة واحدة يتقدمها صحن مغلق. أما بالنسبة للبيوت بصفة عامة فهي تتكون من غرفة واحدة تقدر مقاساتها ما بين 6 ، و7 أمتار، ويلاحظ أن غالبية هذه البيوت كانت جدرانها مكسوة بطبقة صلبة من الجص. كما عثر طاري على مجموعة من البيوت دون الإشارة إلى مكان وجودها.

### القصر أو المحكمة

يقع هذا المبنى بالناحية الشمالية للمدينة، وهو يعد من أروع المباني المكتشفة إلى حد الساعة، لما احتواه من زخارف جصية متنوعة، كانت تكسو جدرانه الداخلية لايزال البعض منها في مكانه الأصلي، اكتشف هذا المعلم من طرف ه. طاري سنة 1881م حيث يقول بشأنه: لقد اكتشفت قصراً بآتم معنى الكلمة، لأن جدرانه كانت مكسوة بزخارف وفي أسفل تلك الزخارف ترك المعماري توقيع، ولقد حاولت إعادة نقله ولكنه زال كلية. و(في الزاوية المقابلة للواجهة)، يضيف طاري (عثرت على قاعة تزيينها عناصر زخرفية يبلغ طولها 4,50م وعرضها 2,50م. أما الحفريات التي قام بها بول بلانشي سنة 1898م فقد أسفرت هي الأخرى عن اكتشاف حوالي أربع وثلاثين حجرة وحوالي 60م<sup>2</sup> من الزخارف المختلفة العناصر. كما ترك لنا مخططاً أولياً لهذا المعلم.

### البيت المحصن

يقع هذا البيت في الناحية الشرقية للمدينة وسط بقايا الغابات، حيث تبدو جلياً آثار السواقي والفقارات المنطلقة من هذا المكان والمتجهة شمالاً نحو مدينة ورقلة، وشرقاً في اتجاه رويسات، وجنوب شرق في اتجاه قارة كريمة. ولقد كانت محل اهتمام الباحثة مارغريت ف. برشم، خلال سنتي 1951-1952م حيث أجرت بها حفرتين، دامت الأولى حوالي خمسة عشر يوماً، أما الثانية فبلغت مدتها حوالي شهرين، ولقد أسفرت هذه الأعمال عن

اكتشاف جزء معتبر من مكونات هذا البيت، بالإضافة إلى كمية هائلة من القطع الجصية المزخرفة وقطع فخارية تزيّن نها زخارف بسيطة وجرتين مختلفتي الأحجام، صنعت إحداها من الطين المحروق ويقدر ارتفاعها بـ1,70م وتحتوي على أربعة مقابض وغطاء، تحتوي بداخلها على بقايا عظام وقطع زجاجية. أما الثانية فكانت ذات لون تركوازي تنتهي في مؤخرة عنقها بصفيرة، وهي ذات مقبضين ينتهيان ببروز معقوف. كما تم العثور على حلية من الفضة وأحجار لعقد امرأة وقنوات لتصريف أو جلب المياه.

وما تجدر الإشارة إليه، أن الحفريات التي أجريت بهذا البيت لم تمس إلا الجهة الشرقية منه، ومع ذلك كانت حصيلة الزخرفة المكتشفة قد بلغت الثمانية صناديق تم نقلها إلى الجزائر

### البيت ذو الجرار

يقع هذا البيت في الناحية الغربية للمدينة، تم اكتشافه أثناء عمليات التنقيب التي قام بها الباحث طاري سنة 1881م، ثم أعيد استخراجه من تحت الرمال من طرف مارغريت ف. برشم، سنة 1952م. يأخذ المبنى شكلاً مستطيلاً غير منتظم الأضلاع، يتم الدخول إليه عبر باب محوري فتح في الجدار الشمالي الشرقي، ويؤدي مباشرة إلى ساحة فسيحة، يحيط بهذه الساحة من الجهتين الشرقية والغربية غرف وأروقة مستطيلة وضيقة. كما فتحت بالجدار الغربي وعلى ارتفاع 1,14م عن الأرضية حنيات مضلعة يعتقد أنها استخدمت كخزانات أو كأماكن لوضع وسائل الإنارة، وتتصل هذه القاعة بالغرفة التي تتقدمها بواسطة مدخل عرضه 1,19م، وتعتبر هذه الأخيرة بمنزلة ساباط (رواق) يطل على وسط الدار ببائكة من ثلاثة عقود حدوية ترتكز على دعائم وأعمدة مدمجة تقوم على قاعدة مربعة، ويعد الساباط من بين الأماكن الضرورية في البيت الصحراوي، فيه يجتمع أفراد الأسرة وقت الحر وبه تؤدي جميع الأغراض المنزلية.